

ابي. فكان روعها وقال ان اباك طلب الخلوة في جبل سيناء فقصى هذه السنين فيه ناسكاً
ولكن الرسول وجده مريضاً على حافة قبره وهو يشكو من الجراح التي اصابته رثيماً فاباهم
معدودات. فبكت باولين وقالت ايمرت ابي وانا سجينه لا استطيع الذهاب اليه. فطيب القاضي
قلبيها وقال ثم اتاني منذ يومين نبطي فقال لي ان احد قواد الروم ممن حارب المسلمين مريض
مشرف على الموت وهو يطلب المعجى الى مصر فهل يؤذن له في ذلك وهل يكون في ما من من
الاسر فلما علمت ان القائد المذكور هو ابوك وعدت الرسول بقبوله على الرحب والسعة امتناً
مغماً باسم الخليفة فوصل النسطاط اليوم ونزل في بيتي وقد لقيته نحياً ضعيفاً لكنه يدفع
الاجل عنه املاً بلاقائك فقد نبي اليه انك قتل في جملة من قتل في الشام فلما علم انك حية
تجددت آماله وعاوده بعض القوة وقد امرتهم باعداد الغرفة المجاورة لغرفتك هذه فينزل فيها
وبيت الباب مفتوحاً بين الغرفتين. فصاحت باولين اأرى ابي واعيش معه فموت معاً ثم غلب عليها
الفرح فاكبت على يد القاضي ثقبها اعترافاً بفضلهم وجميله. فاغرورقت عيانه وقال الحمد لله
فهو الذي قدر نجاتك ايديك وسهل لقاءك. ولم تغرب شمس ذلك النهار حتى اتيل نوما على
السجن فلقيته ابنته وانطرحت عليه منمياً عليها ولا افاقت ارسلت كتاباً الى اوريون تخبره فيه
بعودة ابيها وتقول انه يهديه بركته. فلما قرأ اوريون الكتاب احس كأن بدأ غير منظور رفعت
عن عانقه ثقل اللعنة التي القاها ابوه عليه فاستولى عليه الفرح وشمله الجبور

تعاون الحيوان

لما شرحنا طبائع التماسح في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف قلنا ان طائراً صغيراً
اسمه القطقاط يدخل فاه التماسح ويلتقط فضلات الطعام من بين امتانته واثماسح راض بذلك
مرتاح اليه لا يغدر بضمه ولو اكل الطعام من فيه. ونقلنا ما كتبه بعضهم وكان قد رأى
التماسح مرأى العين ورأى هذا الطائر يدخل فاه ويخرج منه (انظر الشكل التالي)

ومن السهل ان يكتب فصل طويل عن تعاون الحيوانات لا التي من نوع واحد او
من فصيلة واحدة لان هذه امرها في التعاون مشهور بل التي من فصائل مختلفة كالتماسح
والقطقاط والطائر الذي يلتقط القراد عن البقر والابل. فقد قضت العناية ان يتحرر بعضها لبعض
فينتفع الواحد من الآخر ويرد له صاعاً بصاع على غير ما هو شائع بين اكثر طوائف الحيوان
والنبات من الجهاد الذي يقضي به على الالوف لنفع الواحد فيفتدي الطائر الصغير بمئة حشرة

فما يرمي بلتهم حياة ولا يبالي كأنها رزق حلال له ويقوم الانسان رب الحكمة والانصاف على هذه الطيور الصغيرة فيصطادها ويذبحها ويشويها ويأكلها ناعم البال . هذا ليس التعاون الذي نعنيه لان فيه مصلحة فريق واحد حسب الظاهر لا مصلحة الفريقين معاً وانما نفي ما كان من قبيل ما يفضله القطط بلتقط فضلات الطعام من ثم الصباح وينظف اسنانه ويتندي بذلك ويشبع جوفه وعلى هذا مدار كلامنا الآن

ذكر الاندسون ان الثعلب يتيم في اجمة الاسد ينبت بالخطر ويرشده الى الصيد فيترك له الاسد فضلات طعامه . ولو كان الامر كذلك لعددتاه من باب تعاون الحيوان الذي كلامنا فيه لكن المحققين أنكروا الآن ما يخص الثعلب من هذه المعاونة وقالوا انه يقتني آثار الاسود ويأكل ما يفضل من طعامها ولكنه لا يتبها بخطر ولا يرشدها الى صيد فهو طفيلي يتتبع ولا يذبح مثل كثيرين من ابناء آدم . الا ان الاسود تنقل ما تفعل من تركها الطعام غير قاصدة نعمة ولا تنع غيره واذا التفت به وهي جائعة اقتربت كما تفترس الحملان فعي غير مشكورة على تركها الصيد له كما انها غير مأجورة

ومن هذا القبيل سمكة اسمها الريان تتبع التين (كلب البحر) وتأكل فضلات طعامه وكان المظنون انها ترشده الى الطعام وتجذره من الخطر لكن ثبت الآن انها لا تتصل شيئاً من ذلك بل تكتفي بمصاحبه احتشاء به لانها ما دامت على مقربة منه لم تجسر سمكة اخرى ان تدنو منها . وهي تلتقط ايضاً فضلات طعامه فهو لها بمثابة الكفيل يقبها ويقوتها وقد لا يعلم شيئاً مما يفعل من المبررات

ومنه سمكة دقيقة تعيش في بدن الحيوانات المعروفة بخيار البحر وهي صغيرة لاسلح لها يقبها من اعدائها فتلبأ الى خيار البحر تدخل الثقب الذي يتنفس منه وتقيم في رتيبه ولا تخرج منها الا اذا عضها الجوع وصنا البحر وكانت قريبة من شاطئ فلا تكثرفيه الاعداء فانها تخرج حينئذ تلمس الطعام واذا شمعت بدنو العدو عادت ادراجها الى رثة حاميا ضيقاً غير محشم لانها قد يأخذ منها اللوم كل مأخذ حتى تجازي بالسبئة عن الاحسان فتلتهم جانباً من رتبه ولا تبالي . لكن خيار البحر صبور يحمل الضيم ويتغفر السيئات فتتمور رتبه حالاً من غير اذى . والمورد العذب شديد الزحام ولذلك تكثر الحيوانات البحرية التي تضيف خيار البحر وتمو في جسمه فيقبلها على الرحب والسعة وهو لا ينتظر منها اجراً ولا شكوراً . وما هو ينتفرد في هذا الكرم فالانسان يجري مجراه تدخل الديدان معدته وامعاءه وتقيم فيها الشهر بعد الشهر والعام بعد العام وهو غير ناغم منها وقد نقيم على ظاهر بدنه فلا يشكو منها الا اذا غادت في اذاه



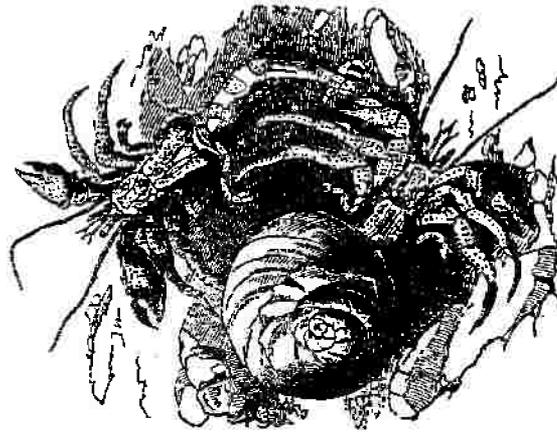
(٤) سرطان حامل شقيقتين



(١) طائر القطقاط في فم السمك



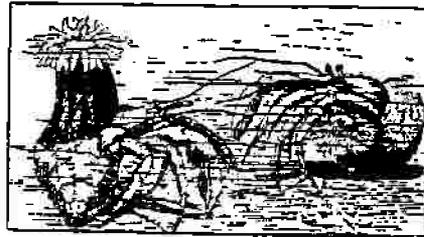
(٥) السرطان الناسك حامل
صدفة يستظل بها



(٢) السرطان الناسك في القوقعة وخارجاً عنها



(٦) عقرب حاملة زهرة تستظل بها



(٣) السرطان الناسك وشقيقة على قوقعته

هذا ولنعد إلى الحيوان الاعجم فنقول
قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى " ان السرطان لا يتخلق بتوالد ولا نتاج انما
يتخلق في الصدف " اي انه يتولد في الصدف مباشرة . وهذا خطأ فاضح والحقيقة ان نوعاً
صغيراً من السرطان يدخل الصدف ويقم مع الحيوان الذي فيه وقد عرف ذلك المصريون
القدماء وذكره ارسطوطاليس وبلينيوس . وقال القدماء ان السرطان كالحاجب لحيوان
الصدف يرى الصدور ويندرة بقدموه فيطبق مصراعيه ويجازيه على ذلك بالماكل والمأوى . ولكن
لا دليل على ان السرطان يقم في الصدفة لهذه الغاية وانما يقصدها ولكن ولا تثقل وطأته على
حيوانها فيرجب به . ولولني منه الاذى ما تعذر عليه الخلاص منه لان الحيوانات كلها تتناول
الخلاص من كل طفيلي فتتلى وتثكك وتذب الذباب عنها باذناها اما حيوان الصدف فلا
يحرك اصبعاً لابعاد السرطان عنه . ويشبه في هذا الكرم نخلة حنديّة سوداء تثقب سوق
الاشجار وتصنع فيها غراً فبعضها فوق بعض تبيض فيها . ويعلق بهذه النخلة نوع صغير من
النمس فلا تتم بالتخلص منه بل تفتح له جيباً صغيراً فوق حقوبها وتدعه يقم فيه وتضم طرفي
هذا الجيب اذا شامت حتى يتعذر على النمس الخروج منه فتصل ضيفها على ظهرها ولا تبالي
لان جيبها مبطّن بمادة قرنيّة يعسر على النمس نخرها . وكانها ادركت ان لاحيلة لها باعدوه عنها
وانه اذا نبي لاصقاً بها فقد يقع بعضه مع يضيها وبأكله فليأت الى اخف الضررين وهو ان تحمل
النمس في هذا الجيب وتثقل عليه بابه الى ان يتم غرضها من الحياة وهو وضع يضيها في بيوتها
واعداد الغذاء الكافي لصغارها من العسل ونحوه والنمس نفسه يلجأ الى الجيب ولا يعود يخرج
منها وهي تحفر البيوت لبيضها وتضعه فيها لانه يعلم انه اذا وقع في تلك البيوت عرضاً تعذر
عليه الخروج منها فيموت جوعاً ولو استطاع ان يبتذلي يبيض النخلة اولاً . فهذا الجيب مفيد له
ولصغار النحل لانه يقيه ويقمها من التلف

واكرم الحشرات وارحبها تنازل النمل قترى الضيوف في بيوتها من انواع مختلفة تدخل
وتخرج على الرحب والسمة عدا ما فيها من العبيد والجواري والخدم والحشم من ضيف كريم
وغريب بزيل وخدام امين وطفيلي ثقيل . ترى هناك المن الذي يفرز العسل يربى ويحلب
كالمواشي والنمل الذي من نوع اخر أمر في الحرب ودرب على الخدمة كالبيد وترى ايضاً
انواعاً من الصناكب والخنافس تدخل وتخرج والنمل يلتقي بها فيقف قليلاً بتعرفها ثم يترى في
طريقه غير مكترث لها اما هي فتعلم انها ما دامت في بيته فهي في حرز حريز من الحشرات
التي تسطو عليها

ويدخل قرى النمل ضيف آخر من نوع النمل وهذا لا يتنازل الى سكن البيوت بل يجعل مقره اعناق دود النمل فان يبيض النمل يصير دوداً قبلما يصير نملاً فيأتي هذا النمل ويضع بيضه على عنق الدود فينقف حالاً ويصير دوداً صغيراً

وكما جاء النمل ووضع الطعام لدوده في الجيب الذي تأكل منه الدودة وهو في نحرها بين فيها ومعدتها اكل دود النمل منه كغافه ثم ان دودة النمل اذا بلغت حداً من النمو نجت لنفسها شرنقة واقامت فيها الى ان تبلغ اشدها وتتحلق نمله وحينئذ تنقب الشرنقة وتخرج منها ويبقى دود النمل في الشرنقة وقد بلغ حداً من النمو ايضاً ودنا وقت صيرورته حشرات طائرة فيأتي النمل ويجمع قشور الشرائق ويطحها خارج قريته ويكون دود النمل فيها وقد صار حشرات مجنحة كما تقدم فيطير في الهواء ويتزوج وتعود اناته الى قرى النمل وتبيض على اعناق يبيض كما تقدم ويدور الدور الى ما شاء الله

وهذا النمل ضيف محشم وان كان طفيلياً ولكن يقصد منازل النمل ضيف آخر غير محشم وهو لا يبيض على اعناق دود النمل بل على اعناق النمل نفسه ويتولد الدود من يبيضه وينخر رأس النملة التي هو على عنقها ويأكل دماغها ثم يقطع رأسها عن بدنها ويقم فيه كأنه يت له الى ان يبلغ اشده ويصير حشرة مجنحة . وحينما يكون في رأس النملة ديباً على اكل دماغها تكون هي قائمة على عملها ولو تملك وابتدت الضجر من وقت الى آخر حتى اذا فرغ من اكل دماغها وقطع عنقها بقي بدنها قائماً يحاول السير من غير رأس . وعلى ذلك ترى امام قرى النمل كثيراً من رؤوسه المقطوعة . ولا يعلم لماذا يحجم النمل السليم عن مساعدة اخوانه ولكن الباحث في طبائع الخلق يبرح عام يرى في الموت صلاح المجتمع فانه اذا لم يموت بعض افراده لم يعد الغذاء كافياً له فيهلك كله . فان كان النمل يدرك ذلك ويرضى بموت بعضه عن طيب نفس لكي ينجو المجتمع كله فيكون قد ادرك ما لم يدركه كثيرون من العقلاء حتى الآن والسرطان بين حيوانات البحر كالنمل بين حيوانات البر في الذكاء والدهاء ومنه نوع صغير يسمى الناسك ترك البداوة ولجأ الى الحضارة ينتش على قوقعة مهجورة يكتنبا ومن ثم اخطأ الدميري ومن جرى مجراه وظن انهُ يتولد في الصدف . وقد ظن هذا السرطان ان البيت الصدفى يقيه من الموت ونسي قول القائل

والموت لا ينجيك من آفاته حصن ولو شيدته بالجنيد

فان السراطين الكبيرة التي تلتهم الصغيرة جرياً على القانون العام وهران الكبار يأكلون الصغار تستخرجه من هذا البيت وتضع عظامه والسماك القوي الاياب يلتقم البيت والسكان

فيه . ولما رأى ان القوة تعوزه لجأ الى الحيلة على حد ما قيل اذا انت لم تغلب فاحلب . فانه رأى حيواناً جميل المنظر قبيح الخبر يقال له شقيق البحر يلقى بالخنزور كالقطر ونشعب من رأسه شعب كثيرة كالشعر او كالاهداب الوانته تزري بالوان الازهار بين احمر واصفر واخضر وبرنقالي وينسجى لكنه سامٌ حريف اذا اغريت به سمكة وحاولت اكل شيء منه لدغها طعمه كالعقرب فلم تعد تحاول ذلك مرة اخرى . وكان السرطان الناسك اكتشف مزية هذا الحيوان فصار يلقعه عن الخنزور ويلصقه بالقوقعة التي يتيم فيها فيأمن شر الحيوانات الكبيرة التي تصطاده لكنه لا يستخدمه عفواً بل يقوته بدل حمايته له وذلك انه اذا قبض على فريسته مزقها قبلما يأكلها فينتشر الفئات منها في الماء والحيوان المثار اليه يتلجج ماء البحر على الدوام ويبقى في جوفه ما فيه من الغذاء فيفتدي من فضلات السرطان ويكتفي بذلك ولا يطعمه باكثر . لكن انصاف السرطان لهذا الحيوان لا يبرئه من اغتصابه القوقعة التي يسكن فيها وهي ليست له . وما ظالم الا وبلي باظلم فان دودة طويلة من ديدان البحر تخالفه الى القوقعة وتسكنها معه وكلما خرج ليتناول طعامه مدت رأسها غير مدعوة وقاسمته الطعام وهو صابر عليها صبر الكرام لسبب لا يعلم حتى الآن فقد ظنّ قبلاً انها تنظف منزله من مبرزاته وهذا سبب صبره عليها ولكن اتضح الآن انها لا تفعل شيئاً من ذلك

والظاهر ان طائفة السرطان عرفت خواص شقيق البحر في كل البحار في بحر الهند سرطان يقبض على شقيقتين صغيرتين مجليبي ويستخدمهما سلاحاً للهجوم والدفاع فيعجم بهما على الحيوانات الصغيرة ويلبسها بهما فتشل من المادة السامة التي في الشقيقتين فيقبض عليها ويفترسها . واذا هجم عليه عدو يريد اقتراضه قابله بالشقيقتين واذافة من الالم ما يعله ان النجاة بالحرب . والظاهر ان الشقيقتين لا تألمان من قبض السرطان عليهما بخالبه او انهما تكتمان الكمد وتظهران الجلد لاشترآكهما معه في المنفعة فانه اذا اصطاد حيواناً شاركاه في اكله على ما تقدم

وكثيراً ما ترى بعض السراطين وعلى ظهرها قطع من الاسفنج والنبات البحري ويظن لاول وهلة ان هذه النواحي تمت من نفسها كما تنمو على الصنوبر ولكن ليس الامر كذلك بل ان السرطان نفسه يقتلعها ويزرعها على ظاهر جسمه حتى يصير كقطعة من العجبرنما النبات والاسفنج عليها وغرضه من ذلك الحيلة على الحيوانات التي تقترسه حتى تظنه حجراً فلا تطعم فيه وعلى الحيوانات التي يفترمها حتى تدنو منه غير موجسة شراً . والسرطان يجلع قشره مراراً وهو نمو فيضطر ان يزرع النبات والاسفنج على ظاهره كلما خلع القشر القديم وتكون له قشر جديد . عمل

شاق يقتضي عناية ورويةً ونكته يقدم عليه من حدائته ويمارسه طويلاً فيحضي الي حيث يجد
طحالب البحر ويقتلع قطعة منها بمخالبه ويضع طرفها ويمزجه بأغايه حتى يسهل عليه الصاقه يدينه
وكما الصق قطعة على جانب الصق قطعة اخرى مثلها على الجانب الآخر حتى تغطى قشرته
واذا ابت قطعة ان تلتصق اعاد مضغها ومزجها باللحاب حتى تلتصق جيداً فيليس من النبات
والاسنج ثوباً لا يبلى ولا يضطر الي تجديده الاً حينما يتجدد قشره او حينما يذهب الي مكان
يسهل اكتشافه فيه فاذا غطى جسمه بالنبات مثلاً ومضى الي مكان ارضه مغطاة بالاسنج
واحياً الاقامة فيه نزع النبات عن جسمه وزرع مكانه اسفنجياً حتى يسهل عليه الاختفاه بين
الاسنج . ولكن الطبيعة لم نتم نعمتها له فاعطته هذا المقدار من الذكاء ولكنها حرمتها التمييز
بين الالوان فقد يغطي بدنه بنبات احمر اللون وهو قائم في مكان نباته اخضر او اصفر وكذا
فعله بالاسنج لانه مصاب بالعمى اللوني على ما يظهر وبويد ذلك انه ينزع لباسه او يلبسه
نهاراً وليلاً في النور والظلام على حدٍ سوى وفعل ذلك بالدقة التامة ولو كان اعور او اعمى
كأنه يعتمد على حاستي الشم واللمس لا على حاسة البصر

ولا تنهي غرائب السرطين في افس الثياب المتخفة بل منها ما يحمل مظلة فوق رأسه
بتي بها حر الشمس في البلدان الحارة وقد تكون هذه المظلة ورقة شجير كبيرة او صدفه او قشرة
حيوان من الحيوانات القشرية

ولا يمانل السرطان في حمل المظلة الاً العقرب فقد ذكر احد الثقات ان بعضهم رأى
عقرباً في عدن تدب وهي ماسكة زهرة بأحد قرنيها تظلل رأسها بها . والعقرب تكرة الحر
الشديد فتخرج ليلاً في طلب فرائسها وتختبئ نهاراً في مكان ظليل والظاهر ان هذه العقرب
ابعدت عن سرها فادركها النهار قبلما عادت اليه واذتها حرارة الشمس فغطت الزهرة
ورفعتا فوق رأسها نقيه بظلمها والا فلا وجه لتفسير عملها لانها لا تأكل النبات حتى تأكلها
ولا تشرب الماء حتى تمتص عصارتها

وقد نشرنا مع هذه المقالة صورة القطقاط يلتقط فضلات الطعام من بين اسنان التمساح
وصورة السرطان الناسك وصورته وقد زرع شقيق البحر على قوقته وصورة السرطان الهندي
الذي يقبض على شقيق البحر ويقابل به الاعداء وصورة السرطان الذي يحمل مظلة فوق رأسه
والعقرب التي شوهدت في عدن ومعها زهرة تستظل بها ونقلنا أكثر ذلك عن مجلة لندن
هذا يسير من موضوع كلة فكاهات وغرائب ولا شيء الذ للانسان من درس الطبيعة